



AL-MAJALIS : Jurnal Dirasat Islamiyah

Volume 11 Nomor 1 November 2023

Email Jurnal : almajalis.ejurnal@gmail.com

Website Jurnal : ejournal.stdiis.ac.id



الإعجاز العلمي في السنة النبوية وأثره في استقرار الوطن: أحاديث الفروق الفردية أنموذجا

Muhammad Ilyas

Program Studi Ilmu Hadis

Sekolah Tinggi Dirasat Islamiyah Imam Syafi'i Jember

Muhammadilyasabdurrohim@gmail.com

Abdullah Ubet

Bahasa dan Sastra Arab Program Studi

Universitas Negeri Sunan Ampel Surabaya

ubaid.auza@gmail.com

Nur Baiti Hidayah

Program Studi Hukum Keluarga Islam

Sekolah Tinggi Dirasat Islamiyah Imam Syafi'i Jember

nurh08690@gmail.com

ملخص البحث

الله ﷻ هو خالق كل الكون ومدبره، وبيده ملكوت السماوات والأرض، فما هذه العلوم التي وصل إليها عصر التقنية الحديثة إلا أثر من آثار تعليم الله ﷻ للإنسان. ومن ذلك، المسائل المتعلقة بالفروق الفردية، وهي من أهم الموضوعات التي تعنى بها الدراسات الحديثة في التوجيه النفسي، والمناهج التربوية، والتخطيط الاجتماعي لمستقبل زاهر. وقد جاءت السنة النبوية قبل ذلك بقرون في تقرير هذه الفروق الفردية الكائنة بين الناس، واعتبارها وسيلة لمعالجة النفوس الإنسانية. هذه الدراسة تتحدث عن الإعجاز العلمي في الأحاديث المتعلقة بالفروق الفردية وأثره في استقرار الوطن. وقد استخدم الباحث المنهج الكيفي الاستقرائي بالتقريب الوصفي التحليلي، فيحاول الباحث جمع أحاديث الفروق الفردية ووصف الإعجاز العلمي المتضمن فيها، ثم تحليلها لاستكشاف أثره في استقرار الوطن. وقد خلصت الدراسة إلى إثبات الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ووجود عدد لا بأس به من الأحاديث المتعلقة بالفروق الفردية التي هي من قبيل الإعجاز العلمي، وأن مراعاة الفروق الفردية في مجالات كثيرة تؤدي إلى استقرار الوطن، وذلك لأن الحياة الإنسانية لا تستقيم بدونها، فالأمير ينبغي أن يراعي الفروق الفردية في توظيف مساعديه، حتى يوظف من له قدرة على مجال

وظيفته، وكذلك كل منسوبي الوطن ينبغي مراعاة هذا الجانب فيمن حولهم، ويعامل كل واحد منهم أخاه بمقتضى ما يلحظه منهم من الفروق الفردية والجنسية؛ وبالتالي يحترم بعضهم بعضاً بما لهم من فضائل، ويرحم بعضهم بعضاً فيما لهم من نقائص، ويعرف كل قدر نفسه فلا يطالب من العمل إلا ما يحسنه، وبهذا يستقر الوطن بإذن الباري ﷻ.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز العلمي؛ السنة النبوية؛ استقرار الوطن؛ الفروق الفردية.

أ. المقدمة

لقد أرسل الله نبيه ﷺ إلى الناس كافة من لدن بعثته ﷺ إلى قيام الساعة، وجعل رسالته خالدة عبر الدهور والعصور، صالحة لكل زمان ومكان، مصداقاً لقول الله ﷻ: وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^{٣٦٢} وقوله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^{٣٦٣} ومن مقتضيات خلود الرسالة وشموليتهما وصلاحيتها لكل زمان ومكان أن تشمل ما تلي حوائج الناس على اختلاف أمكنتهم وأزمنتهم، ومنها حاجتهم إلى الاستقرار في أوطانهم. وأيضا فإن الله ﷻ قد أودع لنبيه محمد ﷺ أنواعاً من المعجزات والدلائل التي تدل وتقوي نبوته، وتثبت صحة ما جاء به، وترد على كل من حال بينه وبين المضي في دعوته، ومن تلك المعجزات والدلائل ما كانت خالدة عبر القرون والعصور والدهر، وهو الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية.

كما هو معلوم لدى المؤمن، أن الله هو خالق كل الكون ومدبره، وبيده ملكوت السماوات والأرض، فما هذه العلوم التي وصل إليها عصر التقنية الحديثة إلا أثر من آثار تعليم الله ﷻ للإنسان،^{٣٦٤} فقد قال الله ﷻ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^{٣٦٥}. فمعنى ذلك أن كثيرا من العلوم التي توصلت إليها بعد معاناة البحث والتفكير والتجربة، قد أقرها الله ﷻ العليم الخبير في كتابه الذي أنزله إلى رسوله ﷺ أو أشار إليها، أو أقرها رسوله ﷻ في سنته المطهرة أو أشار إليها. وأهم الإعجاز العلمي في السنة النبوية هو حضها على العلم والتعلم والتدبر، وقد دلت الآيات والأحاديث على ذلك بكثرة. ومن ذلك المنطلق فكل العلوم المكتشفة في القرون

^{٣٦٢} سورة سبأ (٣٤): ٢٨.

^{٣٦٣} سورة الأنبياء (٢١): ١٠٧.

^{٣٦٤} صالح بن أحمد رضا، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، (ط. ١: الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠١)، ج. ١، ص. ٩.

^{٣٦٥} سورة البقرة (٢): ٣١.

المتأخرة هي بأمر أو إشارة من القرآن الكريم والسنة النبوية. وهذا الجانب من جوانب إعجاز السنة النبوية كافية بحول الله ﷻ لدحض حجج المستشرقين ومن شاكلهم من طاعني السنة النبوية.

وقد احتاجت البشرية وسائر المخلوقات كلها إلى الاستقرار في أوطانهم، وهو من أهم مقومات الحياة السعيدة، ونيل الرقي وال عمران، وحصول الاطمئنان في العبادة وطلب المعيشة، وبدونه اضطربت شؤون الحياة، وكثرت النزاعات والخلافات والحروب، وعظمت نسبة ارتكاب الجرائم والفواحش والمنكرات في الوطن. وبالجملة فإن الاستقرار ضرورة من ضرورات الحياة، وهو من أعظم منة منّا الله على عباده التي إذا انحلت فقدت الحياة سعادتها وطمأنينتها، وفقدت العبادة لذتها وروحها، فالواجب على المسلمين شكر هذه النعمة والمحافظة عليها.

ولما كان لاستقرار الوطن أهمية كبيرة في صلاح حياة البشرية وسائر المخلوقات، واستقامة دينهم ودنياهم، فإن الشريعة الإسلامية الغراء دعت إلى كل ما تؤدي إلى استقرار الوطن، وترغب فيه، وتحول بينه وبين كل ما يؤدي إلى الفوضى والاضطراب، وتنهى عنها. ومن ذلك أمرت الشريعة بالجماعة والاجتماع وعدم التفرق والاختلاف،^{٣٦٦} فالجماعة من أسباب الاستقرار والتفرق من أسباب زواله، فقد قال الله ﷻ ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا إنا نذكرنا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها﴾ كذلك يبين الله لكم آيته لعلكم تهتدون^{٣٦٧}. وقال النبي ﷺ: "يد الله مع الجماعة"^{٣٦٨}، وقال ﷻ: "لأنصار عندنا يذكركم بنعمة الاستقرار الناتج عن الاجتماع والتألف: "ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟" الحديث.^{٣٦٩}

^{٣٦٦} أهمية استقرار الدول والمجتمعات | وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف (islam.gov.bh) تم الاطلاع عليها: ١٥

أبريل ٢٠٢٣ م.

^{٣٦٧} سورة آل عمران (٣): ١٠٣.

^{٣٦٨} أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير: سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، (ط. ١؛ بيروت: دار الغرب

الإسلامي، ١٩٩٦م)، ج. ٤، ص. ٣٩، رقم الحديث ٢١٦٦.

^{٣٦٩} محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري، الجامع الصحيح، (بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، ج. ٥،

ص. ١٥٧، رقم الحديث: ٤٣٣٠.

ومن الأسباب التي دعت إلى استقرار الوطن هو معرفة الفروق الفردية الكائنة بين أفراد البشر، إذ أن البشر ليسوا في صورة واحدة، وليسوا في أخلاق وصفات وطبيعة واحدة، وليسوا من شعب وقبيلة واحدة، بل من سنة الله ﷻ في الكون أن خلق الناس من شعب وقبائل وأعراق مختلفة، مختلفين في اللغات والطبائع والصفات والقدرات والميولات، ومن الحكمة في ذلك أن يتعارف كل إنسان بأخيه الإنسان، يتعارف على لغاته وطبيعته وصفاته وقدراته وميولاته، ليتألف فيما بينهم، فيحصل الاستقرار -بإذن الله ﷻ-.

وقد أتت السنة النبوية بتقرير الفروق الفردية الكائنة بين الناس واعتبارها وسيلة لعلاج النفوس الإنسانية ومعرفة قدراتهم وما يحسنونه من الأعمال في أحاديث عديدة. وقد وافق هذا التقرير ما أثبتتها الدراسات العلمية التجريبية الحديثة، بل تكون الفروق الفردية موضع عنايتهم ودراستهم، وبخاصة في مجالات التوجيه النفسي، والمناهج التربوية، والتخطيط الاجتماعي لمستقبل زاهر، فتكون هذه القضية من القضايا التي من قبيل الإعجاز العلمي في السنة النبوية، بحيث أن السنة النبوية أتت بشيء أثبتته العلم التجريبي الحديثي، وتعد هذه من معجزات النبي ﷺ الخالدة التي تؤكد لنا صحة نبوته، وحجية أحاديثه، وشموليتها وصلاحتها في كل زمان ومكان، وأنها من عند الله حقا.

مما سبقت الإشارة إليه من شمولية الرسالة المحمدية، وأهمية استقرار الوطن لدى البشرية، وإثبات الإعجاز العلمي في السنة النبوية الذي من بينه تقريرها الفروق الفردية الكائنة بين البشر؛ تولدت رغبة الباحث في دراسة الإعجاز العلمي في السنة النبوية من خلال الأحاديث المتعلقة بالفروق الفردية، وتكون إشكالية البحث الأساسية كالآتي: إذا كانت كثير من الحقائق التي جاءت بها السنة النبوية توافق ما أثبتته الدراسات العلمية الحديثة مع استحالة إدراكها ومعرفتها بالوسائل المتوفرة في عهد النبي ﷺ، أليس هذا من أدل الأدلة على صدق نبوة النبي ﷺ، وصدق ما جاء به من القرآن والسنة وأنها من عند الله حقا؟ أليس هذا من أقطع الأدلة على شمولية رسالة النبي ﷺ وصلاحتها لكل زمان ومكان، وبالتالي يتطلب منا اتباع ما جاء نبينا ﷺ؟

وتأتي أهمية دراسة هذا الموضوع في كونها ترد على أهم الطعون الموجهة إلى السنة النبوية مما تشكك في حجيتها، أو تنكر شموليتها وصلاحتها لكل زمان ومكان، وتثبت كون السنة النبوية تعالج القضايا والاحتياجات القديمة والحديثة

التي من بينها استقرار الوطن، كما أنها تثبت الإعجاز العلمي في السنة النبوية من خلال أحاديث الفروق الفردية، وأن من أسباب استقرار الوطن مراعاة الفروق الفردية الكائنة بين البشر. وتكون سؤالات البحث كالتالي: ما مفهوم الإعجاز العلمي في السنة النبوية؟ وما أهمية معرفة ودراسة الإعجاز العلمي في السنة النبوية؟ وما علاقة ذلك بتقرير مبدأ حجية الرسالة المحمدية وشموليتها وصلاحياتها لكل زمان وكان؟ وما ضوابط القول بالإعجاز العلمي فيها؟ وما الأحاديث المتعلقة بالفروق الفردية التي من قبيل الإعجاز العلمي؟ وما أثرها في استقرار الوطن؟، سيجد القارئ الإجابة على هذه التساؤلات من خلال الأسطر المقبلة -بإذن الله ﷻ-.

الدراسات السابقة: أولاً: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، كتبه الدكتور عبد الله بن عبد العزيز المصلح. يتحدث فيه الكاتب عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة وأهميته وتاريخه وضوابط استخراج وجه الإعجاز بين النص والحقيقة.^{٣٧٠} ثانياً: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، كتبه الدكتور صالح بن أحمد رضا. يتحدث الكاتب عن تعريف الإعجاز العلمي، ثم ذكر أمثلة تطبيقية كثيرة على وجود الإعجاز العلمي في السنة النبوية.^{٣٧١} ثالثاً: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، كتبه الدكتور زغلول النجار.^{٣٧٢} يتحدث فيه الكاتب عن الإعجاز العلمي في السنة النبوية بأمثلتها في موضوعات كثيرة رداً على المستشرقين الذين قاموا بتشكيك المسلمين في حجية السنة النبوية.

رابعاً: الدراسة بعنوان: التفسير العلمي للأحاديث النبوية الشريفة، للباحث صالح الأمين محمد الماعزي، المنشور في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة للدراسات الإسلامية (IUGJIS)، المجلد ٢٦، العدد ٢ / ٢٠١٧. يتحدث فيه الباحث عن تفسير الإعجاز العلمي في الأحاديث المتعلقة بأكل التمر والزيت والدهن به. خامساً: الدراسة بعنوان: من صور الإعجاز العلمي للسواك في السنة النبوية، للباحث عبد الله بن محمد بن منشور آل شيخ، منشور في مجلة كلية

^{٣٧٠} عبد الله بن عبد العزيز المصلح، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، (ط: ٢، مكة: الهيئة العالمية للإعجاز العلمي، ٢٠١٦).

^{٣٧١} رضا، الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

^{٣٧٢} زغلول النجار، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، (ط: ٥؛ القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٥).

^{٣٧٣} صالح الأمين محمد الماعزي، " التفسير العلمي للأحاديث النبوية الشريفة"، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة للدراسات الإسلامية (IUGJIS)، المجلد ٢٦، العدد ٢ (٢٠١٧).

التربية بجامعة الحديدة (اليمن)، العدد ٦/ ١٦. ٢٠٢٤^{٣٧٤} يتحدث فيه الباحث عن مظاهر وصور الإعجاز العلمي للسواك في السنة النبوية، وذلك بعد استقصاء وجمع الأحاديث في فضل السواك. سادسا: الدراسة بعنوان: *الإعجاز العلمي والغيبى في السنة النبوية وأثرهما في وحيية السنة النبوية*، للباحث نور الدين تومي، المنشور في *مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر-*، مجلد ١، عدد ٣٦ / ٢٠٢٢، يتحدث فيه الباحث عن إثبات وحيية السنة بدلالة الإعجاز العلمي والغيبى فيها.^{٣٧٥}

مما تقدم من الدراسات السابقة يظهر لي أن هذه الدراسة لم يقم بها أحد، فهذه الدراسة تتحدث عن الإعجاز العلمي في السنة النبوية وأثره في استقرار الوطن من خلال أحاديث الفروق الفردية. والهدف الأساسي المرجوة من هذه الدراسة هو إثبات صدق رسالة نبينا محمد ﷺ، وشموليتها، وصلاحياتها لكل زمان ومكان، وتأييد ذلك بالإعجاز العلمي في السنة النبوية، ومعرفة أسباب استقرار الوطن في ضوء السنة النبوية المرسومة في الأحاديث المتعلقة بالفروق الفردية الكائنة بين البشر.

ب. منهج الدراسة.

هذه الدراسة من الدراسات المكتبية التي تعتمد في جمع معلوماتها على مطالعة الكتب والمصادر الرئيسية والثناوية المتعلقة بالموضوع، كما يستخدم الباحث المنهج الكيفي بالتقريب الوصفي التحليلي. واستخدام الباحث المنهج الكيفي فيسعى الباحث استقراء تلك الكتب والمصادر حتى يستنتج منها الحاصلة العلمية المتعلقة بموضوع الدراسة، ثم ربطها بالجانب النظري. واستخدام الباحث للوصول إلى النتيجة المرجوة التقريب الوصفي التحليلي؛ وذلك بدراسة البيانات التي جمعها من المصادر المكتبية ووصفها للوصول إلى موضوع الإعجاز العلمي في السنة النبوية من خلال الأحاديث المتعلقة بالفروق الفردية، ثم يحلل هذه البيانات تحليلا مناسباً للموضوع، ليصل إلى أثر الإعجاز العلمي من خلال الأحاديث المتعلقة بالفروق الفردية في استقرار الوطن.

^{٣٧٤} عبد الله بن محمد بن منشور آل شيخ، "من صور الإعجاز العلمي للسواك في السنة النبوية"، *مجلة كلية التربية بجامعة الحديدة*، العدد ٦ (٢٠١٦).

^{٣٧٥} نور الدين تومي، "الإعجاز العلمي والغيبى في السنة النبوية وأثرهما في وحيية السنة النبوية"، *مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة الجزائر-*، مجلد ١، عدد ٣٦ (٢٠٢٢).

ب. البحث والنتيجة

١. المبحث الأول: المدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في السنة النبوية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الإعجاز العلمي في السنة النبوية وحقيقته.

كلمة الإعجاز مصدر (أعجز- يعجز)، وهي مشتقة من "العجز" بمعنى الضعف، نقيض الحزم، يقال: أعجزت فلانا إذا ألفتته عاجزا.^{٣٧٦} يقول الحافظ ابن حجر: "وسميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها".^{٣٧٧} فالخلاصة أن الإعجاز بمعنى الإضعاف أي جعله ضعيفا، أو وجده ضعيفا لا يقدر على المعارضة، والمعجزة اسم فاعل منه.

والمعجزة شرعا: "أمر خارق للعادة من ترك أو فعل مقرونٌ بالتحدي مع عدم المعارضة".^{٣٧٨} فالمعجزة كما تكون إتيانا بغير المعتاد، كذلك قد تكون منعا عن المعتاد مثل أن يمسك عن القوت مدة غير معتادة مع حفظ الصحة والحياة. والتحدي هو طلب المعارضة فيما ادعاه من النبوة، فلا بد أن يكون الخارق موافقا للدعوى.^{٣٧٩} والخلاصة أن المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد نبي من الأنبياء موافقا لما ادعاه من النبوة.

كلمة "العلمي" نسبة إلى العلم، وهو بمعنى إدراك الأشياء على حقيقتها.^{٣٨٠} والمراد به هنا هو العلم التجريبي (Empirical Science) الذي لا تُعلم حقيقتها إلا بعد التجربة. والمراد بالحقيقة هو ما ثبت وجوده بلا ريب ولا شك. فالمراد بالحقيقة العلمية هو المفهوم الذي تجاوز المراحل الفرضية والدراسات النظرية حتى أصبح ثابتا مجمعا عليه من قبل كافة العلماء المختصين.^{٣٨١}

^{٣٧٦} محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، (ط. ٣؛ بيروت: دار الصادر، ١٤١٤هـ)، ج. ٥، ص. ٣٦٩.

^{٣٧٧} أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩)، ج. ٦، ص. ٥٨٢.

^{٣٧٨} محمد بن علي الفاروقي التهانوي، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، (ط. ١؛ بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦)،

ج. ٢، ص. ١٥٧٥.

^{٣٧٩} المرجع السابق.

^{٣٨٠} المصالح، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، ص. ٢٨.

^{٣٨١} نور الدين تومي، "الإعجاز العلمي والغيبي في السنة النبوية وأثرهما في وحيية السنة النبوية".

فالإعجاز العلمي هو "إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي ﷺ".^{٣٨٢} والمقصود بالإعجاز العلمي في السنة النبوية هو الحقائق العلمية (Scientific Facts) أو الظواهر الكونية التي دلت عليها السنة النبوية الشريفة وتم اكتشافها مؤخرا.^{٣٨٣} وهذا الاكتشاف يؤكد ويظهر لنا جليا صدق النبي ﷺ فيما أخبره عن ربه ﷻ.

المطلب الثاني: أهمية معرفة الإعجاز العلمي في السنة النبوية وفوائدها.

(١) تقرير مبدأ شمولية رسالة نبينا محمد ﷺ وعالميتها وصلاحتها لكل زمان ومكان.

المؤمن عندما يرى موافقة الاكتشافات العلمية الحديثة بما دلت عليه السنة النبوية يزداد ثقة يقينا بأن الرسالة المحمدية لم تنزل لطائفة معينة في زمن معين، بل هي تبقى شريعة خالدة للثقلين إلى قيام الساعة، وذلك لأن السنة النبوية قد أنبأت أشياء من الحقائق العلمية التي لا يمكن الوصول إلى إدراكها في زمن النبي ﷺ. وتم اكتشافها في هذا العصر بما أودعه الله من الإمكانيات، فصارت من الحقائق المقطوع بثبوتها بوسيلة العلم التجريبي، وقد نبأنا عن ذلك السنة النبوية قبل أكثر من أربعة عشر قرنا.

(٢) تجديد اليقين بصدق رسالة نبينا محمد ﷺ وحجيتها وأنها وحي من الله ﷻ في عصر الاكتشافات العلمية.

إذا كان الصحابة قد عاصروا رسول الله ﷺ، وشاهدوا كثيرا من معجزاته بأعينهم، فما نحن في هذا العصر قد أطلعنا الله ﷻ معجزة لرسوله ﷺ التي تتناسب مع عصرنا، وذلك في الإعجاز العلمي؛^{٣٨٤} مما يزيدنا يقينا بصدق النبي ﷺ وصدق رسالته، وأنه رسول من عند الخالق ﷻ المدبر للكون كله، فقد قال ربنا ﷻ: ﴿سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.^{٣٨٥} فبإظهار هذه الأبحاث المتعلقة بالإعجاز العلمي سيكسب الثقة مرة ثانية من بعض المسلمين الذين قد فتهم الكفار عن دينهم باسم العلم، وسيعتزون بدينهم مرة أخرى بعد أن عرفوا بأن نبيهم قد تكلموا عن هذه الاكتشافات قبل أكثر من أربعة عشر قرنا، وهو أمة لا يقرأ ولا يكتب، إنما هي

^{٣٨٢} المرجع السابق، ص. ٢٢.

^{٣٨٣} عبد الله بن محمد بن منشور آل شيخ، "من صور الإعجاز العلمي للسواك في السنة النبوية".

^{٣٨٤} عبد المجيد الزنداني، تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، (بيروت: المكتبة العصرية)، ص. ٣٢.

^{٣٨٥} سورة فصلت (٤١): ٥٣.

وحي من رب العالمين المدبر للعالم كله، وبهذا ترسخ في قلوبهم حجية السنة النبوية لكونها وحي من الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(٣) تحفيز المسلمين وتنشيطهم للاكتشافات العلمية بدافع من الحوافز الإيمانية.

قد أمرنا ربنا ﷺ بالتفكير والنظر في آيات الله الكونية، فقال ﷺ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.^{٣٨٦} فالتفكير والنظر فيها عبادة، كما أن التفكير والبحث عن معاني الأحاديث التي فيها إعجاز علمي عبادة،^{٣٨٧} وتقديمها للناس من أفضل الوسائل للدعوة إلى الله ﷻ، فهي من أفضل العبادات، لقول ربنا ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^{٣٨٨}، وكل هذا متحقق في بحث ودراسة الإعجاز العلمي.

(٤) معرفة الإعجاز العلمي خير محرض للتمسك بالقرآن والسنة والاهتداء بهما.^{٣٨٩} وسبب ذلك وجود الأثر البالغ المترسخ في قلوب المسلمين، المترجم بزيادة اليقين عندهم عند رؤيتهم لهذه الحقائق الباهرة؛ لأنها وردت على لسان النبي الأمي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

(٥) الرد العلمي الدامغ على الأفكار التشكيكية بصحة الرسالة المحمدية؛ حيث إن عرض تلك الحقائق التي أخبر عنها نبي أمي في زمن ليس فيه تقدم علمي، كما أنه ليس في المجتمع وكذا البيئة التي عاش فيها أية إثارة من علم في تلك الميادين الكونية.^{٣٩٠} ولذلك فهذا الإعجاز يعدّ أيضاً مجالاً لإقناع العلماء المنصفين بصدق نبوة سيد المرسلين محمد ﷺ وصدق ما جاء به.

المطلب الثالث: ضوابط دراسة الإعجاز العلمي في السنة النبوية.

^{٣٨٦} سورة الذاريات (٥١): ٢٠-٢١

^{٣٨٧} المرجع السابق، ص. ٣٢.

^{٣٨٨} سورة فصلت (٤١): ٣٣.

^{٣٨٩} عبد الله بن عبد العزيز المصلح، قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف الشريف)، ص. ٣.

^{٣٩٠} المرجع السابق.

لا بد في دراسة الإعجاز العلمي في السنة النبوية أن يكون له ضوابط حتى لا يخرج عن المسار الصحيح الذي يجب أن يسير فيه، وبخاصة كان الأمر متعلقاً بأصول الشريعة الأساسية، وبالأخص الإعجاز الذي نحن بصددده، فإنه حكم على سنة نبي الله ﷺ بما يكتشفه أهل العلوم المختلفة، ولهذا كان من الواجب وضع قيود دقيقة تضبط القول بالإعجاز حتى لا يكون هناك تهوّر وشطط، وإليكم بعض تلك الضوابط:

(١) أن يكون القول بالإعجاز ليس فيه تعسف، أو مخالفة للنص العربي الوارد في السنة النبوية.

يجب إجراء النص الوارد في السنة النبوية على ما تعرفه الأمة العربية وقت نزول القرآن وورود الحديث النبوي من المفاهيم والمعاني التي تستخدم لها الكلمة العربية الموجودة في النص من الكتاب، أو السنة النبوية. فاللغة هي الضابطة للنص، وليس المفهوم الحادث، أو الفهم الذي يخطر للإنسان خارج نطاق اللغة هو الذي نُزِلَ النص عليه.^{٣٩١} والمسار الصحيح في هذا هو اتباع فهم السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم لأنهم أدركوا ذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اقتصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعمل الصالح لا سيما كبارهم وعلمائهم، كالخلفاء الراشدين، وعبد الله بن مسعود وغيرهم -رضي الله عنهم-.^{٣٩٢}

(٢) أن يكون الاستناد في دراسة الإعجاز العلمي على الحديث المقبول، أن يثبت الحقيقة العلمية ثبوتاً قطعياً،

وتوثيق ذلك توثيقاً علمياً.^{٣٩٣}

ومما يجب التنبيه له في هذا الموضوع، أن الحقيقة المطلقة هي ما عند الله تعالى، أما ما عند الإنسان فإنما هي حقيقة نسبية، ولذلك لا بد أن يكون النص هو الأصل، والحقيقة العلمية هي الفرع الذي يبني على ذلك الأصل، وبهذا يتبين لنا أنه إذا جاء النص الواضح في نصوص الشريعة فهو الحق حتى لو خالفته النظريات العلمية، وذلك مع كون

^{٣٩١} صالح بن أحمد رضا، تجرّبي مع الإعجاز العلمي في السنة النبوية، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الشريف)، ص. ٤٤.

^{٣٩٢} المصلح، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، ص. ٣٥.

^{٣٩٣} المرجع السابق، ص. ٣١.

المؤمن يجب أن يعتقد بأنه لا يوجد نص شرعي يعارض حقيقة علمية، لأن هذا أمر الله، وتلك خلق الله، فلا يمكن أن يتعارض الأمر مع الخلق.^{٣٩٤}

(٣) وجود الدلالة أو الإشارة إلى الحقيقة العلمية في النص الحديثي بشكل واضح لا مربة فيه.

المتكلم والباحث في الإعجاز العلمي ينبغي أن يكون عالماً متثبناً يعلم سياقات الأحاديث النبوية وأسباب ورودها، وذلك لأن غير العالم لا يعرف الحق من غيره، كما يجب -في دراسة الإعجاز العلمي- أن يتوافر عليه فريق متكامل من أهل العلم بشتى أنواع التخصص حتى يستطيعوا أن يحيطوا بدقائق العلوم التي يحتوي عليها النص النبوي، وعلى الباحث أيضاً أن يجمع كافة الروايات والنصوص الواردة في الموضوع ذاته ليتبين له المعنى الصحيح منه قدر الإمكان،^{٣٩٥} فالروايات تفسر بعضها بعضاً، كما أن الأحاديث يفسر بعضها بعضاً.

(٤) الوقوف والاقتصار على ما أدركه العقل البشري لدى الباحث، وعدم القول بما لم يدركه يقينا بالضوابط السابقة.

يجب على الباحث في الإعجاز العلمي معرفة الحدود التي يجب أن يقف عندها العقل الإنساني أمام الحقائق المطلقة الواردة في النصوص القرآنية والنبوية، فالعقل الإنساني يجب أن يقف عند حدود علمه الذي رزقه الله ﷻ إياه، ولا يحاول أن يفهم النص بما لا يعلمه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.^{٣٩٦} فإن فهم النصوص الشرعية المتعلقة بالحقائق الكونية وكل ما اتصل إليه من أبعاد لها فسحة عمر الإنسانية لتصل إلى حقيقتها: ﴿سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.^{٣٩٧} فليس من واجب الباحث أن يتبين جميع النصوص العلمية الواردة في الوحي المنزل من عند الله ﷻ، وإنما عليه أن نبذل قصارى جهوده، وما آتاه الله ﷻ من علم لفهم النص قال به متوكلاً على الله ﷻ لبيان هذا الفهم.^{٣٩٨}

^{٣٩٤} رضا، تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ص. ٤٤.

^{٣٩٥} المرجع السابق، ص. ٤٥.

^{٣٩٦} سورة الإسراء (١٧): ٨٥.

^{٣٩٧} سورة فصلت (٤١): ٥٣.

^{٣٩٨} المرجع السابق، ص. ٤٦.

(٥) عدم البحث عن الإعجاز العلمي في الأمور الغيبية التي مجالها الإيمان واليقين، كبداية الخلق، وأخبار يوم القيامة،^{٣٩٩} وما سيجري بعد الموت من البرزخ، والمحشر، والجنة، والنار. فإن مثل هذه الأمور الغيبية لا يمكن أن يدركها العقل البشري ولا العلم التجريبي، فعلى المؤمن التسليم والانقياد والتصديق بقلبه تصديقا جازما لأنها تصدر من لسان الصادق المصدوق ﷺ.

٢. المبحث الثاني: الإعجاز العلمي في السنة وأثره في استقرار الوطن: أحاديث الفروق الفردية "أنموذجا".

الكلام حول موضوع الفروق الفردية له علاقة وثيقة بعلم النفس، وهو أن علم النفس قام على قاعدة أساسية هي "الفروق الفردية"، فهي من أهم الموضوعات التي تعنى بها الدراسات الحديثة في التوجيه النفسي، والمناهج التربوية، والتخطيط الاجتماعي لإعداد الأفراد لمستقبل سعيد وحياة فضلى. يقول الدكتور عبد الحميد محمد الهاشي في حقيقة الفروق الفردية: "تلك الصفات التي يتميز بها كل إنسان عن غيره من الأفراد، سواء كانت تلك الصفة جسمية أم عقلية، أم مزاجية، أم في سلوكه النفسي أم الاجتماعي".^{٤٠٠}

أتت السنة النبوية منذ أكثر من أربعة عشر قرنا تسبق العلوم النفسية الحديثة في تقرير الفروق الفردية الموجودة بين الناس، واعتبرت السنة أن لهذه الفروق دورا بارزا في معالجة النفوس الإنسانية، فما يصلح لفرد قد لا يصلح لآخر، فيعطى كل إنسان ما يحتاج إليه من التوجيه والتربية والتعليم بحسب حاجته، وبحسب طاقته، فما يقدر عليه إنسان قد لا يقدر عليه آخر، فإذا راعى كل إنسان هذه الفروق الفردية الكائنة بين البشر، ويعامل أخاه بمقتضاها في توظيف أو تكليف أو تربية أو غيرها؛ تهدياً حال الوطن وتستقر -ياذن الله ﷻ- لأن الناس يتفهمون بعضهم مع بعض، فلا يكلف المرء إلا بما يطيقه ويحسنه.

وفيما يلي نماذج الإعجاز العلمي في السنة النبوية من الأحاديث التي نصت على حقيقة علمية أثبتها العلم

التجريبي المعاصر فيما يتعلق بالفروق الفردية وأثرها في استقرار الوطن:

(١) الناس مختلفون في صفاتهم وطبائعهم ومميزاتهم.

^{٣٩٩}المصالح، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه، ص. ٣٤.

^{٤٠٠}رضا، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ص. ١١٤٤.

أخرج الإمام البخاري في الجامع الصحيح قال: حدثني عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله قال أخبرني سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس قال أتقاهم لله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»^{٤٠١}

أولاً: بيان ثبوت الإعجاز العلمي في الحديث

يُفهم من الحديث السابق أن المرء إذا أراد أن يدرك مدى اختلاف الناس في صفاتهم، فعليه أن يتصور المعادن واختلافها في الصورة، وفي الصفة، وفي قابليتها للصياغة، والسحب، والتحول، وفي نقلها للحرارة والكهرباء، وقابليتها للمَغْنَطَة والتفاعل، إلى غير ذلك من الخواص الفيزيائية والكيميائية لكل معدن من المعادن الموجودة في هذه الأرض. هذا الحديث يصور لنا تصويراً دقيقاً حين يشبه أفرادهم بالمعادن المختلفة المتباينة، ويعطي قاعدة كلية للناس، وأنهم مختلفون فيما بينهم كاختلاف المعادن، فمن الناس من يصعب تغيير صفاته السيئة التي رسخت في نفسه، أو تغيير صفاته الحسنة صعوبة قلب الحديد إلى ذهب، وهذا وإن كان ممكناً -نظرياً- فهو من الناحية العملية يحتاج إلى جهد كبير. ومن الناس من هو سهل التبديل والتغيير حتى كأنه كل يوم في خلق جديد وصفة جديدة. والناس بين هذين درجات متباينة مختلفة.

وكذلك فإن الحديث نفسه يبيّن أن التميز بين الناس يكون نادراً، وذلك شبيهه بمعادن الذهب والفضة، فهذان المعدنان نادران في الأرض بالنسبة لغيرهما من المعادن، وهما ممتازان في صفاتهما، وفي مكانتهما بين الناس. إضافة إلى ذلك أن الممتازين درجات، فمنهم من هو بمثابة الذهب، وهو أعلى وأعلى، ومنهم من دون ذلك بمثابة الفضة، وهو أقل درجة من الذهب. وكذلك الناس، منهم العبقري المنفرد بصفات لا يقاربه فيها إلا القليلون النادرون، ومنهم الاعبياء، ومن هم بين الدرجتين كثير جداً يشمل جميع الناس.^{٤٠٢}

^{٤٠١} محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، *الجامع الصحيح*، (بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ)، ج.٤،

ص. ١٤٩.

^{٤٠٢} رضا، *الإعجاز العلمي في السنة النبوية*، ص. ١١٤٨.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية الحديثة أن كل فرد من أفراد البشرية يختلف عن أخيه الإنسان في أمور عدة، فيتفاعل بعضه مع البعض الآخر، وتتنظم وظائف المجتمع، وتوضح وظائف الأفراد المختلفين في بناء ذلك المجتمع، ولو كان الناس جميعاً على قدر واحد من الذكاء أو من المعرفة أو في القوة البدنية لاختل ميزان المجتمع. وقد أثبتت الأبحاث أيضاً أن أكثر الناس يقعون في الوسط بين الغباء المفرط والذكاء المرتفع، فقليل جداً هم الأغبياء وقليلون جداً هم الأباقة.^{٤٠٣} فصدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم في تصوير الناس كالمعادن، وهو تصوير دقيق يستفاد منها في معاملة الناس على اختلاف صفاتهم وطبائعهم، فيعامل كل على ما يناسب حاله.

ثانياً: أثره في استقرار الوطن.

هذا الحديث بما تضمنه من الإعجاز العلمي له دور واضح في استقرار الوطن، فإن استقرار الوطن يتطلب حسن تعامل مواطنيه بعضهم مع بعض، فيعامل كل واحد منهم أخاه معاملة حسنة مهما اختلفت طبائعهم وصفاتهم أعراقهم وورثاتهم، ويتفهم كل واحد منهم بما له من نقائص أو قصور، وينبغي للمربي أن يفهم دوره في التربية بالأكثر من الزجر والغضب من التلاميذ بطيئي الفهم أو الحفظ لأن قدرات الناس مختلفة، وكذلك ينبغي لولاة الأمور أن يوظف امرءاً بما يحسنه من العمل ويميل إليه، ولا يولي إلا الأكفاء من الناس.

(٢) الكامل الأوصاف أو القريب من الكمال عددهم من الناس قليل جداً.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه، قال: حدثني محمد بن رافع وعبد بن حميد (واللفظ لمحمد)، قال عبد: أخبرنا، وقال ابن رافع: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تجدون الناس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة».^{٤٠٤}

أولاً: بيان ثبوت الإعجاز العلمي من الحديث.

يفهم من هذا الحديث أن مرضي الأحوال من الناس، الكامل الأوصاف، أو قريب من الكمال، الرفيع الصفات والأخلاق، العالي القدرات والإمكانات، العبقري المفرط؛ قليل جداً كقلة الراحلة في الإبل. والراحلة هو البعير الكامل

^{٤٠٣} المرجع السابق، ص. ١١٤٥.

^{٤٠٤} أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. صحيح مسلم، (بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٣٣هـ)، ج. ٧، ص.

الأوصاف، القوي على الأسفار.^{٤٠٥} وقد أشار الحديث أيضا إلى أن نسبة الممتازين إلى غيرهم هو (١) إلى (١٠٠) أو أقل، وهذا يوافق ما توصل إليه علماء النفس في عصرنا الحاضر بعد اختبارات ومقاييس متعددة؛ إلى أن نسبة العباقرة هو (١/١٠٠).^{٤٠٦}

ثانيا: أثره في استقرار الوطن.

إذا عرف الناس هذه الحقيقة "بأن الكامل الأوصاف أو قريبا من الكمال منهم قليل جدا": لعرفوا قدر أنفسهم، واعترفوا بأنهم ليسوا بكامل، واعترفوا أن ما عندهم من الأخطاء والنقائص قد تكون أكثر وأكبر من جانب صوابهم، وبالتالي لا يعجب الناس بأنفسهم، ولا يرغب في الأعمال والمناصب والولايات إلا ما يقدر عليه ويحسنه، وأيضا فإن الناس إذا عرفوا قدر نفسه لا يستكبرون، ولا يسخر بعضهم بعضا، ويكون وضع المجتمع مليئا بالتسامح والتعاطف والتعاون، وبهذا يستقر الوطن -بإذن الله ﷻ-.

ويشير إلى ما سبق تقريره أيضا الحديث التالي:

أخرج الإمام أبو داود في السنن، قال: حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثني عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب، عن عبد الرحمن بن أبان، عن أبيه، عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه».^{٤٠٧}

بيان ثبوت الإعجاز العلمي في الحديث وأثره في استقرار الوطن:

هذا الحديث يصور لنا صورة من صور الفروق بين الناس، فمنهم عنده قدرة قوية على الحفظ والاستدكار وضبط ما يسمعه، ومنهم من ملكه الله ﷻ قوة في الفهم والتحليل والاستنتاج.^{٤٠٨} فالأول ينبغي أن يعرف قدر نفسه بأنه لا

^{٤٠٥} أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، *المناهج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ج. ١٦، ص. ١٠١.

^{٤٠٦} رضا، *الإعجاز العلمي في السنة النبوية*، ص. ١١٤٩.

^{٤٠٧} أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، *سنن أبي داود*، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، (ط. ١؛ لبنان: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ)، ج. ٥، ص. ٥٠١، رقم الحديث ٣٦٦٠.

^{٤٠٨} رضا، *الإعجاز العلمي في السنة النبوية*، ص. ١١٥٥.

يملك قوة في الفهم والاستنتاج، فيبلغ ما سمعه وحفظه من العلم إلى الفقيه الذي يملك قوة في الاستنتاج، وقس على هذا المقياس الأمور والقضايا الأخرى، فينبغي إعطاء كل ذي فضل فضله، وتوظيف كل إنسان ما يحسنه من العمل، وبهذا تستقيم الحياة ويستقر الوطن -بإذن الله-.

(٣) رعاية الفروق الفردية في استغلال مواهب الإنسان واختيار الأنسب في كل المناصب والمواقف.

أخرج الإمام البخاري في صحيحه، قال: حدثنا محمد بن سنان: حدثنا فليح بن سليمان: حدثنا هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ضيقت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»^{٤٠٩}.
أولاً: بيان ثبوت الإعجاز العلمي في الحديث.

هذا الحديث يعتبر أصلاً في اختبار القدرات ومعرفة الفروق الفردية لمعرفة الإنسان، ومعرفة ما يحسنه من الأعمال، حتى يوظف كل إنسان ما يستحقه من العمل المناسب وتحت إمكانياته وقدراته. وهذا الكلام النبوي يسبق ما قرره علماء علم النفس في تقريرهم ذلك؛ يقول الدكتور عبد الحميد الهاشمي: "أن لرعاية الفروق أهمية ذاتية إذ تساعد الفرد على تفهم نفسه، واستغلال مواهبه، ومعرفة حدودها ... إلخ"^{٤١٠}. فالحديث النبوي الشريف قد سبقهم إلى هذا التقرير وتميز عليهم بإعطاء قواعد عامة شاملة، فله الحمد والمنة.

ثانياً: أثره في استقرار الوطن

إذا عرف كل الناس وأصحاب الولايات هذه القاعدة النبوية وعملوا بمقتضاها لأدى ذلك إلى استقرار الوطن - بإذن الله ﷺ؛ لأن الإنسان لا يكلف إلا بما يناسبه من العمل الذي يقدر عليه ويحسنه ويميل إليه، ومن ثم يؤدي كل إنسان مهمته في الوطن بكل رغب وسرور، ويؤديها بكل ما عنده من الطاقات والإمكانيات، فأتقن فيها وأجاد، وبالتالي كل الوظائف والمناصب لا يكلف لها إلا من أحسن فيها وأتقن وكل يعرف قدر نفسه ويعلم ما يحسنه من العمل، وبذلك يستقر وضع الوطن -بإذن الله ﷺ-.

(٤) معاملة الرسول ﷺ أصحابه بمقتضى الفروق الفردية الكائنة بينهم، من ذلك ما بينه الحديثان التاليان:

^{٤٠٩} البخاري، الجامع الصحيح، ج. ٨، ص. ١٠٤.

^{٤١٠} رضا، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ص. ١١٥٢.

- ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، قال: حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث، حدثني أبي شعيب بن الليث، حدثني الليث بن سعد، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن بكر بن عمرو، عن الحارث بن يزيد الحضرمي، عن ابن حجرية الأكبر، عن أبي ذر قال: «قلت: يا رسول الله، ألا تستعلمني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»^{٤١١}
- وأيضا فقد أخرج البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم واللفظ للترمذي، قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ النَّاسُ فِي إِمْرَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ تَطَعْنُوا فِي إِمْرَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطَعُونَ فِي إِمْرَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَإِيمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيفًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنْ هَذَا مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ». هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.^{٤١٢}
- بيان ثبوت الإعجاز العلمي في الحديثين وأثره في استقرار الوطن:

هذان الحديثان وأمثالهما يشيران إلى الفروق الفردية التي سبق تقريره، وهي اختلاف الناس في الاتجاهات والميولات والقدرات، والرسول ﷺ عامل أصحابه بمقتضى ما عندهم من القدرات الفردية التي كان يلحظها رسول الله ﷺ، فبعض الصحابة لم يملكون ملكة تؤهلهم على الإمارة، مثل أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه-، رغم كونه من الصحابة الكرام المقربين، ولكن الإمارة تحتاج إلى شرائح من الناس يمتلكون قدرات خاصة، ولهذا رد الرسول ﷺ أبا ذر عن الإمارة لضعفه عنها، وبالمقابل فإن النبي ﷺ أمر بعضا من الصحابة ليكونوا أمراء، مثل أسامة ابن زيد -رضي الله عنهما- فإن الرسول ﷺ رأى فيه الصفات التي تؤهله للإمارة بقوله: "إن كان لخليقا بالإمارة".

المسلم الحقيقي ينبغي أن يتخذ نبيه ﷺ قدوة حسنة له في كل شيء حتى في المعاملات، فإذا عامل الناس أخاه بما عامل به رسول الله ﷺ أصحابه باعتبار الفروق الفردية والقدرات الشخصية ولا تعطى الإمارة إلا لمن كان أهلا بها؛ لانتظمت الأمور واستقامت الأحوال، لأن كل إنسان يعمل ويوظف بمقتضى ما امتلكه من قدرة وهبة في مجال عمله، وبهذا يستقر الوطن -بإذن الله ﷻ-.

وتؤيد كل ما سبق بيانه مقولة الدكتور عبد الحميد الهاشمي فيما اكتشفه علماء علم النفس في أهمية اعتبار الفروق الفردية في معاملة الآخرين ما نصه: "لرعاية الفروق أهمية ذاتية إذ تساعد الفرد على تفهم نفسه، واستغلال مواهبه، ومعرفة حدودها، فدراسة الفروق تقدم للفرد صورة نفسه في أعين الآخرين، أو في مرآة نفسه، وإذا عرف

^{٤١١} النيسابوري، صحيح مسلم، ج. ٦، ص. ٦، رقم الحديث ١٨٢٥.

^{٤١٢} الترمذي، الجامع الكبير: سنن الترمذي، ج. ٦، ص. ١٤٤، رقم الحديث ٣٨١٦.

الإنسان نفسه وزنها بالقسطاس المستقيم أدرك حدودها، فوقف عندها، وأدرك إمكاناتها، فأحسن استغلالها إلى أقصى ما يمكن لها من حدود الكمال".^{٤١٣}

(٥) ومن الفروق الفردية التي ينبغي مراعاتها الفروق بين الجنسين الذكر والأنثى، فإنه توجد جملة من أحاديث

رسول الله ﷺ التي توضح ما بينهما من فروق مما تستدعي عدم معاملتها معاملة واحدة، فكل جنس له صفاته

الخاصة التي يتحمل بها الأعمال المناسبة لإمكاناته وقدراته دون غيرها،^{٤١٤} من ذلك الحديثان التاليان:

- ما أخرجه البخاري في صحيحه، قال: حدثنا مسدد: حدثنا إسماعيل: حدثنا أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أتى النبي صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه ومعهن أم سليم، فقال: ويحك يا أنجشة، رويدك سوقا بالقوارير».^{٤١٥}

- وما أخرجه البخاري أيضا في صحيحه، قال: حدثنا عبد الرحمن بن المبارك: حدثنا خالد: أخبرنا حبيب بن أبي عمرة، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: «يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور».^{٤١٦}

أولا: بيان ثبوت الإعجاز العلمي في الحديثين.

في هذين الحديثين راعى النبي ﷺ الفروق الجنسية الكائنة بين الرجال والنساء، فقد خص ﷺ الأمر بالرفق في

الركوب - في الحديث الأول - بالنساء دون الرجال، لأن السفر والإسراع على المراكب في السفر يتحملة الرجل، لكون

اعتادها في كثير من مجالات الحياة من جهاد، وطلب علم، وتجارة، وغيرها من متطلبات الحياة، أما النساء فلسن

مطالبات بهذه الأشياء، وجسمهن أصلا لا يتحمل ما يتحملة جسم الرجال. ومثله الجهاد - كما في الحديث الثاني - فالنساء

لا يحتملن مشقة الجهاد وتعبه، ولهذا لم يجعل النبي ﷺ من واجبات النساء أن يقمن بذلك، لأنه لا يتلائم مع فطرتها، إلا

إذا كانت وظيفتها في الجهاد غير القتال كتضميد الجرحى، وسقي الماء، وقد يؤذنّ النساء بذلك.^{٤١٧} فالخلاصة أن المرأة

ينبغي ألا تكلف إلا بما يتلائم مع فطرتها، فلا يكلف الأعمال الشاقة التي لا تطيقها إلا الرجال، وكذلك ينبغي للرجال أن

يعاملوا النساء بمقتضى فطرتهن وعاطفتن، فلا يعاملهن بشدة وقوة، بل يعاملهن برفق ولين ورأفة.

^{٤١٣} رضا، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ص. ١١٥٢.

^{٤١٤} المرجع السابق، ص. ١١٧٢.

^{٤١٥} البخاري، صحيح البخاري، ج. ٨، ص. ٣٥، رقم الحديث ٦١٤٩.

^{٤١٦} المرجع السابق، ج. ٢، ص. ١٣٣، رقم الحديث ١٥٢٠.

^{٤١٧} رضا، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ص. ١١٧٣-١١٧٤.

وهذا يوافق تماما بما أثبتته الاكتشاف الحديث، قال الكسيس كاريل: "إن المرأة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل، فكل خلية من خلاياها تحمل طابع جنسها، والأمر صحيح بالنسبة لأعضائهن، وفوق كل شيء بالنسبة للجهاز العصبي - والقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين مثل قوانين عالمنا الكوكبي- فليس في الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية كلها، ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هي، وعلى النساء أن ينمين أهليتهن، وأنفسهن تبعاً لطبيعتهن، دون أن يحاولن تقليد الذكور".^{٤١٨}

ثانيا: أثره في استقرار الوطن.

والاختلاف بين الرجال والنساء هو اختلاف اختصاص لا انتقاص، وأن ما بينهما من التفاضل فإنما هو لتكامل الحياة فوق هذه المعمورة، فتتوازن المتطلبات والاختصاصات، وتعمر الأرض وترتقي الأمم، بالتعاون بين العقل والعاطفة لا بالتنافس والتسابق بينهما، فالمرأة امرأة، والرجل رجل، لكل منهما هباته واختصاصاته التي وهبها الله لهما في هذه الحياة، ولكل إمكاناته وقدراته التي تناسب هذا الاختصاص.^{٤١٩} فينبغي للمسلم أن يراعي هذا المبدأ للتوازن في الحياة الصادر ممن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﷺ، ولا شك أن هذا التوازن من الأسباب التي تؤدي إلى الهدوء والاطمئنان في الأسرة والمجتمع، وبالتالي يستقر الوطن -بإذن الله ﷻ- لأن كل أفراد المجتمع يمشي على مقتضى الفطرة التي فطر الناس عليها، وهو ﷻ عالم بكل ما يصلح لعباده.

فانظر كيف كان الإسلام قد سبق هذه الاكتشافات التي اكتشفها علماء علم النفس وغيرهم على لسان النبي الأمي ﷺ قبل قرون كثيرة، فقرر بلسان قوله وبلسان حاله كما تقرر ذلك في الأحاديث السابقة، وكل ذلك يدلنا على كمال هذه الشريعة وشموله ما يحتاج إليه البشر من لدن بعثة النبي ﷺ إلى قيام الساعة، كما يدل أيضا على صلاحيتها لكل زمان ومكان. ومن خلال الأحاديث السابقة يُعلم أن الشريعة الإسلامية قد سَطَّرت ووضعت مبادئ عامة فيما تصلح بها أحوال البشر، منها مبادئ التي تؤدي إلى استقرار الوطن حيث يرجع مضمونها إلى مراعاة الفروق الفردية والجنسية

^{٤١٨} المرجع السابق، ص. ١١٧٨

^{٤١٩} المرجع السابق.

الكائنة بين البشر، وباستقرار الوطن تستقيم مصالح الحياة الدينية والدينية. فسبحان الله العظيم رب السموات والأرضين الذي أودع لنبيه هذه المعجزة الخالدة الماهرة، ولله الحمد والمنة.

ج. الخاتمة

البحث عن الإعجاز العلمي في السنة النبوية أصبح شيئاً مهماً، لكونه وسيلة من وسائل الدعوة الجيدة، وبها - بإذن الله - يتجدد إيمان المؤمن وتصديقُه بنبيه ﷺ وبما جاء به، ويؤمن بأن الرسالة المحمدية رسالة خالدة شاملة وصالحة لكل زمان ومكان، بحيث أنها تأتي بما تحتاج إليه البشرية وتصلح لهم على اختلاف أمكنتهم وعصورهم، من ذلك حاجة البشرية إلى الاستقرار في أوطانهم، حيث به تستقيم مصالح الحياة الدينية والدينية؛ فتأتي الأحاديث النبوية بمبادئ عامة التي تؤدي إلى استقرار الوطن حيث يرجع بعض مضمونها إلى مراعاة الفروق الفردية والجنسية الكائنة بين البشر.

ومن تلك الأحاديث التي فيها إعجاز علمي بيان النبي ﷺ بأن الناس كالمعادن في تنوعها واختلاف صفاتها، منها ما كان قابلاً للتحويل والصبغة بالسهولة، ومنها ما كان صعباً، ومثله الإنسان، فإن بعض الناس يسهل تغيير صفاته السيئة، ومنهم من كان صعباً كصعوبة قطع الحديد. وفي حديث آخر بين النبي ﷺ بأن الناس متباينون في ملكة الفهم والاستنباط، وآخر بين النبي ﷺ بأن الكَمَل من الناس قَلَّة، وتارة بين النبي ﷺ بأن تكليف المرء ما لا يحسنه سبب للهلاك. وأحاديث أخرى فيه معاملة النبي ﷺ أصحابه وتكليفه إياهم للمهام بمقتضى ما يلحظه منهم من الفروق الفردية. وفي أحاديث أخرى بين النبي ﷺ الفروق الجنسية بين الذكر والأنثى وكيفية التعامل بينهما. وكل هذه المبادئ سبقت ما أثبتته علماء علم النفس وغيرهم في ذلك. وهذه الهدايات النبوية إذا طبقت في أرض الواقع سوف تؤثر تأثيراً بالغاً في استقرار الوطن - بإذن الله ﷻ - كما وضحتها في صلب هذه الدراسة. ولله الحمد والمنة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين. *لسان العرب*. ط. ٣؛ بيروت: دار الصادر، ١٤١٤ هـ.

آل شيخ، عبد الله بن محمد بن منشور. "من صور الإعجاز العلمي للسواك في السنة النبوية"، مجلة كلية التربية

بجامعة الحديدة، العدد ٦، ٢٠١٦.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه. *الجامع الصحيح*. بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. *الجامع الكبير: سنن الترمذي*، تحقيق بشار عواد معروف. ط. ١؛ بيروت: دار

الغرب الإسلامي، ١٩٩٦ م.

التهانوي، محمد بن علي الفاروقي. *موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*. ط. ١؛ بيروت: مكتبة لبنان ناشرون،

١٩٩٦.

تومي، نور الدين. "الإعجاز العلمي والغبي في السنة النبوية وأثرهما في وحيية السنة النبوية"، مجلة جامعة الأمير عبد

القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة الجزائرية، مجلد ١، عدد ٣٦، ٢٠٢٢.

رضا، صالح بن أحمد. *الإعجاز العلمي في السنة النبوية*. ط. ١؛ الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠١.

____، صالح بن أحمد. *تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنة النبوية*. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف،

بدون سنة.

السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي. *سنن أبي داود*. تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد

كامل قره بللي. ط. ١؛ لبنان: دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ.

الزنداني، عبد المجيد. *تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة*، بيروت: المكتبة العصرية، بدون سنة.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*. بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩.

الماعزي، صالح الأمين محمد. "التفسير العلمي للأحاديث النبوية الشريفة"، مجلة الجامعة الإسلامية بغزة للدراسات

الإسلامية (IUG/IS)، المجلد ٢٦، العدد ٢، ٢٠١٧.

المصلح، عبد الله بن عبد العزيز. *الإعجاز العلمي في القرآن والسنة تاريخه وضوابطه*. ط: ٢، مكة: الهيئة العالمية

للإعجاز العلمي، بدون سنة.

____، عبد الله بن عبد العزيز. قواعد تناول الإعجاز العلمي والطبي في السنة وضوابطه. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد

لطباعة المصحف الشريف، بدون سنة.

النجار، زغلول. الإعجاز العلمي في السنة النبوية. ط. ٥؛ القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٥.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. بيروت: دار إحياء التراث العربي،

١٣٩٢هـ.

النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري. صحيح مسلم. بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٣٣هـ.

أهمية استقرار الدول والمجتمعات | وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف (islam.gov.bh) تم الاطلاع عليها

بالتاريخ: ١٥ أبريل ٢٠٢٣ م.